الأستاذة: خميسي

محاضرة: القصص الشعبي المفهوم والدلالة.

تمهيد:

يعد القصص الشعبية أحد أبرز الأشكال التعبير الأدبية التي نشأت في أحضان الجماعة الشعبية وكونت ملامحه عبر تراكم طويل من التجربة الإنسانية، إذ عكس واقع الإنسان الشعبي وتجسد آماله وتطلعاته ومخاوفه، كما تعبر عن رؤيته للعالم والعلاقات الاجتماعية والوجودية من حوله، ولم يكن هذا القصص وليد لحظة إبداع فردي معزول، بل هو نتاج وعي جمعي تشكل عبر تداول الشفاهي والتناقل عبر الأجيال، مما أكسبه طابعا خاصا يجمع بين البساطة والعمق وبين المتعة والدلالة، وقد اتخذ القصص الشعبي مع مرور الزمن شكلا فنيا متكاملا له أصوله وبناءه في السردي الخاص، وقواعده التي تنظم مسارات الحكي وشخصياته وأحداثه، كما أفرز منظومة اصطلاحية ومفاهيمية متعددة أسهمت في اتساع دائرة الجدل حول تحديد ماهيته وضبط مصطلحه، لذلك تعدد تسمياته بتعدد البيئات والثقافات والمناهج النقدية، فتنوعت المقاربات التي تناولته من الأنثروبولوجيا والفولكلور والدراسات الأدبية.

ويصنف القصص الشعبي ضمن أنواع الأدب الشعبي التي تملك خصائص تميزه عن غيره من الأشكال التعبيرية الشعبية، كالأمثال والأغاني والسير، إذ يقوم أساساً على البنية السردية والحبكة وتنامي الحدث، ويعتمد الخيال الشعبي وسيلة لتمثيل الواقع أو إعادة صياغته في صورة رمزية، وقد عرف هذا اللون القصصي في ثقافات إنسانية متعددة وانتشرت نصوصه الشفوية والمكتوبة على نطاق واسع، ما يدل على كونيته وقدرته على الاستجابة للحاجات النفسية والاجتماعية للجماعات البشرية المختلفة، ومن هنا تبرز أهمية الوقوف عند مفهوم القصص الشعبي ودلالاته، ومحاولة ضبط حدوده الاصطلاحية والكشف عن وظائفه الفنية والثقافية باعتباره مرآة صادقة للذاكرة الجماعية وأحد المكونات الأساسية للهوية الشعبية.

مفهوم القصص الشعبي:

القصة الشعبية تصويراً سردياً للوقائع يتراوح بين تمثيل الواقع الاجتماعي الحقيقي كما تعيشه الجماعة الشعبية وبين إعادة تشكيله في صورة واقع متخيل أو مزيف يتجاوز المألوف

عبر آليات العجائبية والخارقة والأسطوري، ومع الالتزام بالتصورات والمعتقدات الموروثة التي شكلت وعي الجماعة عبر التاريخ، ولا ينفصل هذا التخيل عن الواقع بل يقوم على إعادة تأويله ومنحه أبعاد رمزية فتجاوز الظاهرة إلى الدلالة، وقد تداخلت في القصة الشعبية أذواق العصور التاريخية المختلفة فغدت نصاً مركباً يعكس تراكم التجربة الإنسانية وتحولاتها محتكماً في بنائه ودلالته إلى المرجعية الشعبية بوصفها سلطة ثقافية ومعياراً جمالياً، ومن ثم نشأت هذه القصص في أوساط شعبية خالصة، وتكيفت مع معطيات المجتمع الإنساني في أبعاده الاجتماعية والروحية والفكرية، معبرة عن منظومة قيمه وتصوراته للعالم ولتحقيق غياته السردية.

استعانت القصة الشعبية بمختلف الوسائط التعبيرية من حوار ووصف ومبالغة وخيال، مسخرة إياها في سبيل هدف مركزي يتمثل في حكاية البطولة الشعبية وتمجيد القيم الاجتماعية كالشجاعة والعدل والانتصار للمظلوم، بما يجعلها خطاباً ثقافياً ذا وظيفة جمالية وتربوية في آن واحد حيث يتكفل الراوي الشعبي بتشكيل القصة الشعبية وتقديمها، إذ يعد فاعلاً إبداعياً وأديباً متضلعاً في استلهام المادة الشعبية وصياغتها وفق رؤية سردية ولا يقتصر دوره على النقل الآلي فقط، بل يعتمد طرائق متنوعة في الحكي تجمع بين النفس الفني والنفس الشعري، مما يمنح النص حيويته وجاذبية، وغالباً ما تنشأ هذه القصص في بدايتها في الفضاءات المفتوحة والطرقات والمجالس الشعبية، ثم ترتقي تدريجياً من حالتها الفولكلورية الشفوية إلى تشكيل أدبي، يمتلك بنيته الفنية وقواعده وأسسه السردية الخالصة.

ويعد الروات الحلقة الأساسية في تداول القصص الشعبية وحفظها فهم الذين يظلعون بمهمة سردها ونقلها من جيل إلى آخر، يجمعون بين إثارة المخيلة ومتعة الرواية في آن واحد، غير أن الروات لا يتساوون في كفاءتهم السردية، إذ تتفاوت قدراتهم من حيث كمية القصص التي يحفظونها ونوعيتها، ومن حيث مهاراتهم في تقمص أدوار الشخصيات وتمثيلها صوتياً وحركياً، فضلوا عن قدرتهم على التصوير القصصي والإبداع والتشديد الدرامي والتكييف مع الاختلاف الأماكن والظروف والجمهور المتنقلة ويسهم هذا التفاوت في أداء في إثراء القصص

الشعبية إذ تتعدد صياغها وتتنوع روايتها بما يحفز ديناميكية الإبداع الشفهي ومرونته ويؤكد أن القصة الشعبية نص مفتوح قابل للتحول والتشديد داخل الذاكرة الجماعية[1].

يرى ***والتر آلان*** أن القصة تعد من أكثر الأنواع الأدبية فاعلية في العصر الحديث لما تملكه من قدرة على التأثير في الوعي الأخلاقي للمتلقي، فهي من خلال فكرتها وبنيتها الفنية تنجح في استقطاب القارئ وشد انتباهه، إذ تعيد تقديم التجربة الإنسانية بعد إعادة صياغتها فنيًا، فتجعل مظاهر الحياة أكثر وضوحًا وكثافة وقابلية للتأمل والفهم، أما ***ناصر نواف*** فينظر إلى القصة بوصفها شكلًا من أشكال النثر التخيّلي يتميز بالإيجاز والتركيز ويقلّ حجمه كثيرًا عن الرواية وتركز بنيتها غالبًا على حدث واحد أو موقف محدد مع الاعتماد عدد محدود من الشخصيات الأمر الذي يمنحها كثافة دلالية وتماسكًا بنيويًا[2].

أنواع القصصي الشعبي:

تُعبّر القصة عن حادثةٍ أو مجموعةٍ من الحوادث كما ذكرنا سابقاً، وتكون هذه الحوادث قد أثارت مشاعر معينة في نفس الكاتب؛ ممّا دفعه لكتابتها، وقد تكون هذه الحوادث طويلةً تشتمل على حياة فرد أو مجموعة بأكملها وتُسمّى رواية، وقد تكون متوسطة تُسجّل مرحلةً من مراحل الحياة وتُسمّى القصة، كما يمكن أن تكون قصيرة تستعرض جزءاً من مرحلةٍ ما وتُسمّى القصة القصيرة، وفيما يلي توضيح لأنواع العمل القصصي تبعاً للطول أو القصر لكل منهم:

القصة القصيرة أو الأقصوصة:

وتشتمل على عرض جزءٍ معينٍ أو مرحلةٍ ما من مراحل الحياة، وعادة ما تدور أحداث القصة حول هذا الجزء الصغير الذي تعرضه، ويكون هو محورها الرئيسي الذي يجب على الكاتب أن يحرص على بقاء الأقصوصة ضمنه؛ لكي لا يفشل عمله القصصي، ولكي لا تخرج القصة عن طابعها القصير، ويُشترَط لنجاح القصة القصيرة أن يستخدم الكاتب جميع

---

[1]– ينظر: أمحمد عزوي، الرمز ودلالته في القصة الشعبة الجزائرية، دار ميم للنشر والتوزيع، 2013،

[2]– ينظر: محمد زغلول سالم، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأ المعارف في الاسكندرية، مصر، (د ت)، ص12.

وينظر: نواف ناصر: المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط9، 2007، ص 61

قدراته الفنية والتعبيرية لصياغتها؛ عن طريق استخدام الكلمات التي تترك أثراً في نفس من يقرأها، ولتكون القصة معبرةً وموحيةً، ولا يُشترَط أن يكون محور القصة القصيرة شخصاً أو حادثة معينة، بل يمكن أن يكون المحور عبارة عن حوار داخلي، أو وصف نفسي داخلي لانطباعات معينة عن حادثة ما، ولا يلتزم كاتبها ببداية ونهاية، وعادة ما يتراوح عدد صفحاتها بين 3 إلى 20 صفحة.

القصة:

تصف القصة مرحلة معينة من مراحل الحياة بالتفصيل، وفيها تنفتح الآفاق أمام الكاتب ليُعبّر أدبياً وفنياً عن الأحداث التي تدور حولها القصة، سواء أكانت تتعلق بشخصية واحدة أو عدة شخصيات، بشرط أن تبدأ بنقطة معينة وتنتهي بنقطة أخرى، وأن تكون الأحداث مُنسَّقة تنسيقاً منطقياً، وسواء كانت واقعية أو غير واقعيةٍ يجب أن تكون لها تاريخ بداية ونهاية، وأن يكون أسلوب عرض الأحداث مشوقاً للقارئ، وتستند القصة على الوصف والتصوير، مع مراعاة وجود عنصر التشويق والإثارة الذي يصل بالقارئ إلى العقدة؛ وهي المرحلة التي تتأزّم فيها الأحداث، والتي تنتهي إلى حل العقدة الذي يكمُن في نهاية القصة، أما العناصر التي يُشترَط أن تحتويها القصة؛ فهي التمهيد للأحداث في البداية، والعقدة التي تتأزم فيها الأحداث، وأخيراً الخاتمة التي يكون فيها حل العقدة، وتكون القصة وسطاً بين الأقصوصة والرواية، وتتراوح عدد صفحات القصة من 20 إلى 70 صفحة.

الرواية:

تعد الرواية نوعاً من أنواع العمل القصصي الذي لا يُحدّد الكاتب بطول معين، ويزيد عدد صفحاتها عن 70 صفحةً؛ حيثُ تُعتبَر من أطول أنواع العمل القصصي وأكثرها اهتماماً بالتفاصيل، أما محورها فيمكن أن يكون أياً من عناصر القصة دون وجود قيودٍ؛ شريطة أن يستوعب الكاتب العنصر الذي سيكون محور الرواية استيعاباً كاملاً، وأن يصفه بالتفصيل، فمثلاً لو كان المحور فترة زمنية معينة، يجب على الكاتب وصفها وصفاً دقيقاً كي يأخذ القارئ فكرة شاملة ودقيقة عنها، أمّا إن كان محور الرواية شخصية معينة، فيجب على الكاتب أن

يؤرّخ لهذه الشخصية، ويذكر جميع جوانب حياتها من البداية وحتى النهاية. وعلى كاتب الرواية أن يذكر جميع التفاصيل والجزئيات التي تخدم الرواية وتخدم الفكرة المراد طرحها فيها، فعلى الكاتب أن يستغلّ عدم محدودية الرواية في ذكر مختلف التفاصيل والإسهاب فيها، والجدير بالذكر أن هناك روايات عالمية أخذت مُتّسعاً كاملاً من ذكر التفاصيل والجزئيات حتى استوعبتها مجلدات عدة، مثل: رواية البؤساء، ورواية الجريمة والعقاب، وغيرها الكثير من الروايات التي تعد وثائق تاريخية مهمّةً في البلدان التي صدرت فيها.

المسرحية:

المسرحية هي عبارة عن عمل قصصي حواري يشتمل عادة على مؤثّرات فنية ومناظر مختلفة، ويراعى فيه جانبان، هما:

جانب النص المكتوب، وجانب التمثيل المعبِّر الذي ينقل النص بشكل حيّ للمشاهدين، ومن الجدير بالذكر أنّه توجد عناصر تشترك فيها القصة مع المسرحية، وهي: الحدث، والشخوص، والفكرة، والزمان والمكان؛ أمّا ما يميز المسرحية فهو وجود عنصر البناء، والحوار، والصراع، وتُقسَم المسرحية إلى قسمين، هما: **المأساة والملهاة**، أو التراجيديا والكوميديا، وفي المسرحيات الحديثة المعاصرة تختلط عادة المأساة بالملهاة.

مصادر القصة:

تنقسم أنواع العمل القصصي من حيث المصادر إلى القصص الواقعية والقصص الخيالية، فالقصص الواقعية تستمدّ أحداثها من واقع المجتمع وأنماط حياة الناس وطرق عيشهم، في حين أنّ القصص الخيالية تستمد أحداثها من الخيال البعيد عن الواقع الذي يُحاكي الإنسان على الأرض، ويمكن من خلال القصص الخيالية معالجة العديد من المشاكل الاجتماعية والبيئيّة والعلمية[3].

[3]: https://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B5%D8%B5

تقسيمات القصص الشعبية

تنوّعت محاولات تصنيف القصص الشعبية بتنوّع المرجعيات المنهجية والبيئات الثقافية، ويُعدّ التقسيم الموضوعاتي من أكثر التصنيفات شيوعًا في الدراسات الفولكلورية، لاعتماده على المضامين والدلالات التي تحملها الحكايات الشعبية، وقد قدّم عدد من الباحثين الجزائريين تصنيفات متعدّدة، من بينها تصنيفات **روز ليلى قريشي وعبد الحميد بورايو**، مع الحفاظ على التقسيمات العامة المتداولة.

أولًا :التقسيم العام للقصص الشعبية

1- القصص الدينية.
2- القصص البطولية.
3- قصص السلاطين والملوك.
4- قصص الحيوانات.
5- قصص الجنّ والغيلان والكائنات الخارقة.

وتتداخل هذه الأنواع داخل القصة الواحدة، مما يؤكد مرونة القصص الشعبية وغناها الدلالي.

ثانيًا: تقسيم عبد الحميد بورايو

قسّم عبد الحميد بورايو القصص الشعبية إلى ثلاثة أنماط كبرى، هي:

1- قصص الرطوبة :وهي القصص المرتبطة بالواقع اليومي والمعيش، وتعكس علاقات الإنسان الاجتماعية وتفاعله مع محيطه.

2- قصص الخراف :وتقوم على العجائبي والأسطوري، وتستحضر كائنات خارقة وأحداثًا غير مألوفة.

3- قصص الحكايات الشعبية :وهي القصص المتداولة شفهيًا، وتتسم ببنية سردية بسيطة ووظيفة ترفيهية وتربوية في آن واحد.

ثالثًا: تقسيم روز ليلى قريشي

قدّمت روز ليلى قريشي تقسيمًا أكثر تفصيلًا للقصص الشعبية، جعلته قائمًا على طبيعة المضمون والوظيفة، ويتمثل في:

1 – **قصص البطولة:** وتشمل القصص الدينية والقصص الوعظية، وقصص البدايات وقصص البطولة ذات الطابع التاريخي أو شبه التاريخي.

2– قصص الخرافة: وتشمل الخرافة الشعبية ذات البعد الديني، والخرافة المرتبطة بشخصيات غير دينية عاشت في الواقع، إضافة إلى خرافات حول الحب، وخرافات محلية مرتبطة بالبيئة.

3– القصة الصغيرة: وتضم قصص التسلية، وقصص التخفيف عن المكبوتات، والقصص ذات المغزى الأخلاقي والاجتماعي[4].

خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح أن القصة الشعبية ليست مجرد شكل حكائي للتسلية أو الترفيه، بل هي خطاب ثقافي وجمالي متكامل، يعكس وعي الجماعة الشعبية بذاتها وبالعالم المحيط بها، فهي تمثل سجلًا حياً للذكرة الجماعية، وتحفظ من خلاله جماعة خبراتها التاريخية والاجتماعية، وتعيد إنتاج قيمها الأخلاقية والرمزية عبر السرد والتخيل، وقد كشفت دراسة مفهوم القصة الشعبية وتقسيماتها عن غناها وتعدد مستوياتها الدلالية، إذ تتراوح بين الواقع والعجائب وبين الدين والبطولي والخرافي، بما يبرز مرونتها وقدرتها على التكيف مع تحولات المجتمع الإنساني، وهو ما يؤكد الدور المحوري للراوي الشعبي في تشكيل هذا المثل الحكائي بوصفه وسيطًا إبداعيًا يجمع بين الحفظ والابتكار، ويمنح القصة الشعبية حياتها المتجددة

---

[4]– ينظر: روز ليلى قريشي، القصة الشعبية الجزائرية.

وينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبية من منطقة بسكرة.

داخل فضاء التلقي الشفهي، وعليه. فإن الاهتمام بالقصة الشعبية لا يندرج فقط ضمن حفظ التراث اللامادي، بل يتجاوز ذلك إلى فهم البنى العميقة للفكر الشعبي واستجلاء أليات التعبير عن الهوية والوعي الجماعي، ومن هنا تظل القصة الشعبية مجالًا خصبًا للتحدي والدراسة وقاعدة أساسية لفهم تحولات الأدب الشعبي وصلته بالأجناس الأدبية الأخرى.